Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم لم يزد على ذلك شيئاً وقطع الرواية دون أن تتم فصولها ، وهكذا ينهزم ابن المعتز أمام سلطان الزمان والمكان ، فما كان لشاعر يعيش فى قصور بنى العباس خلال القرن الثالث للهجرة أن يجيد من وصف البادية ما يجيده شاعر بدوى من أمثال لبيد .

وقد روى أبو الفرج الأصفهانى شيئاً عن حياة الشاعر يمكن أن نفسر فى ضوئه الدوافع الشعورية لمثل تلك المحاكاة ، وذلك حين قال عنه : « وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية ، وغزل الظرفاء ، وهلهلة المحدثين ، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين ، ولا تقصر عن مدى السابقين . وليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية ، إذ لا ينبغى أن يعدل عن الكلام السبط الرقيق الذى يتناسب مع موضوعاته المترفة كوصف الأزهار ، ومجالس الشراب ، إلى جعد الكلام ووحشيه ، وإلى وصف البيد والناقة والجمل والديار والقفار ، ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة بالطعن على أهل الفضل »[٢٤] إلى آخره . ويؤخذ من هذه السطور القلائل أن قوماً عابوا على ابن المعتز سهولة ألفاظه ، وبساطة عباراته ، ورموه بالتخلف ، والعجز عن مجاراة الفحول من الشعراء . فلعل هذا الطعن ، والتشهير به ، هو الذى دفعه إلى تلك الأشعار التى تبدو غريبة ، أو لعله على الأقل يتحمل الجانب الشعورى من تلك الدوافع .

وإذا كان ابن المعتز قد مال بلغته إلى طريقة القدامى ، وتخلف عن المحدثين فى بعض ما ذكرنا ، فإنه عاد بلغته فبزهم فى تسجيل مظاهر الحضارة الحديثة فى شعره ، لتوفر تلك المظاهر فى بيئته الخاصة . فالقارىء لشعره يستشف بسهولة مدى الخطوات الواسعة التى خطاها الشعر العربى والحضارة العربية فى طريق التقدم والتطور ، ولا يشك فى أنه يقرأ لشاب مترف عاش حياة غير حياة زهير والفرزدق وأمثالهم ومرَّ بتجارب غير التى مرُّوا بها ، ونرى شواهد ذلك حين نوازن قول الفرزدق :

ورَكْبٍ كأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بالعَصَائِبِ[٢٥]

---

(٢٤) الاغانى ٩ : ١٣٣ .

(٢٥) ديوان الفرزدق ٣ : ١٣٣ .